

حسن الصفار

الإمام الحسين
رمز التضحية والفداء

الإمام الحسين رمز التضحية والفداء

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ يُبَاغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ
أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٩)



المقدمة

على أبواب كل سنة هجرية جديدة تنتظرنا ذكرى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وتستقبلنا بأبعادها الاجتماعية وبأهدافها الإسلامية العظيمة وبدروسها النضالية الرائعة.

وأمتنا الإسلامية وهي تعيش في هذا الوقت تحدياً شاملاً يجب أن تتوقف كثيراً عند محطة ذكرى الإمام الحسين عليه السلام لتتزود منها بطاقة الإيمان والعقيدة، ولتتملى من وقود الصمود والتضحية.

فماذا تعني ذكرى الإمام الحسين؟

إنها تعني الثقة بالنفس والصمود مهما كانت قوة العدو وضخامة جيشه. ففي كربلاء كان معسكر الحسين يتشكل من سبعين مقاتلاً بينما كان الجيش يضم آلاف الجنود ومع ذلك فقد خاض السبعون معركة الحق بكل ثقة وتصميم يقول الإمام الشهيد: «ألا واني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر»^(١).

وهي تعني روعة التضحية والبذل والعطاء في سبيل الله بلا حدود فلقد بذل الحسين يوم عاشوراء كل أبنائه وأفراد أسرته وخلص أصحابه وأتباعه وحتى نسائه وعائلته وضحي بكل ذلك في سبيل الدفاع عن قيم الإسلام الخالدة ومبادئه العادلة. ولم يكن متأسفاً على هذا العطاء بل مستبشراً بحمد الله على أن

(١) عبدالرزاق المرقم/ مقتل الحسين ص ٢٣٤ الطبعة الخامسة - بيروت ١٩٧٩ م.

وفقه لهذه التضحيات ولذا يحدثنا التاريخ أنه كلما سقط شهيد تهلل وجه الحسين فرحاً.

وفي آخر لحظة من حياته الرائعة كان يناجي الله وهو صريع على رمال كربلاء غير عابئ بالسيوف التي تمزق جسمه ولا بالرماح التي تتناهب جسده الشريف ويقول في مناجاته لله: (صبراً على قضائك لا إله سواك، يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك، ولا معبود غيرك، صبراً على حكمك، يا غياث من غياث له)^(٢).

وتعني مسؤولية كل فرد مسلم وواجهه في العمل من أجل إصلاح المجتمع ومكافحة الانحراف. ففي ثورة الإمام الحسين كانت المرأة تناضل إلى جانب الرجل وكان الشباب يسبقون الكبار إلى الشهادة. وكان العميد يشاركون الأحرار شرف التضحية وحتى الأطفال الصغار كان لهم دور في ملحمة كربلاء.

وأخيراً :

فإن على كل فرد مسلم أن يستثمر هذه الذكرى في التعرف على شخصية الإمام الحسين وأبعاد ثورته وأهداف نهضته المقدسة. وأن يحاول استيعاب دروسها واعتناق مبادئها والسير على طريق الإمام الحسين في التمسك بالدين والجهاد دون قيمه والصمود على شرائعه ومناهجه. والحسين ابن بنت رسول المسلمين جميعاً. وهو ضحى من أجل الإسلام دين المسلمين كافة وبذلك فهو إمام لجميع المسلمين لا يختص بمذهب معين ولا يجوز أن تحتكره طائفة خاصة. وهذا الكراس المتواضع طبع قبل فترة من الزمن وأقدمه الآن في طبعته الجديدة مع شيء من الإضافات إسهاماً في الاحتفاء بذكرى الإمام الحسين والتعريف بدوره العظيم..... والله ولي التوفيق.

(٢) باقر شريف القرشي / حياة الامام الحسين ج ٣ ص ٢٨٨ / الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ

ومضات من حياة الإمام

ولادته:

في الخامس من شهر شعبان للسنة الرابعة للهجرة النبوية الشريفة أشرق نور الحسين في البيت العلوي الكريم^(٣).

تسميته:

وقد سماه جده رسول الله ﷺ حسيناً كما سمي أخاه الذي ولد قبله حسناً وهما اسمان لم يكونا معروفين بل أوحيا إلى النبي ﷺ من قبل الله وورد عن عمران بن سليمان قوله: «الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة لم يكونا في الجاهلية»^(٤).

عائلته:

ويتمي الحسين إلى أشرف عائلة وأكرم أسرة في تاريخ البشر فجده لأمه

(٣) بن الأثير / اسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١ ص ٤٩٦ / دار الفكر - بيروت ١٩٨٩ م.

(٤) المصدر السابق

الرسول الأعظم ﷺ وأبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بضعة الرسول .

في القرآن الكريم:

والحسين هو خامس أهل الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٥) .
وجاء في تفسير (روح المعاني) للعلامة البغدادي حول الآية الكريمة ما يلي:

أخرج الترمذي والحاكم وصحاحه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق أم سلمة رضي الله عنها، قالت: في بيتي نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله ﷺ، بكساء ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وعن جماعة عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ، قال: قالت أم سلمة: وأنا معهم؟ قال: أنت على مكانك وإنك على خير. وأخبار إدخاله ﷺ علياً وفاطمة وابنيهما رضي الله تعالى عنهم تحت الكساء، وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تحصى وهي مخصصة لعموم أهل البيت بأي معنى كان البيت، فالمراد من شملهم الكساء، ولا يدخله فيه أزواجه^(٦).

والحسين من قريبي رسول الله الذين فرض الله مودتهم على المسلمين في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾^(٧).

(٥) سورة الأحزاب: من الآية ٣٣

(٦) السيد محمود الالوسي البغدادي/ روح المعاني/ ج ٢٢ ص ١٤ / دار احياء التراث العربي - بيروت

(٧) سورة الشورى: من الآية ٢٣

قال الحافظ السيوطي الشافعي: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم والطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ)) قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وولادهما^(٨).

ريحانة الرسول:

تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث كثيرة يفصح فيها عن حبه الشديد لسبطه الحسين ولأخيه الحسن، ويبين مكانتهما وفضلهما على مسامع أصحابه كقوله صلى الله عليه وآله (هما ريحانتاي من الدنيا)^(٩).

وعن يعلي بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسياب)^(١٠).

وفي سنن الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)^(١١).

وفي المستدرک للحاكم عن أبي هريرة قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حامل الحسين بن علي وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه)^(١٢).

من مكارم أخلاقه:

كان الإمام الحسين يجسد بحياته وسلوكه قيم الإسلام ومكارم الأخلاق وقد ذكر المؤرخون الكثير من المواقف والموارد التي تعكس صوراً من شيمه

(٨) جلال الدين السيوطي/ احياء الميت بفضائل أهل البيت ص ٣٠ / الطبعة الأولى-طهران ١٩٨٨ م.

(٩) البخاري/ صحيح البخاري ج ٥ ص ٣٣ / دار الجيل - بيروت

(١٠) ابن الأثير/ اسد الغابة ج ١ ص ٤٩٧.

(١١) ابوتراب الظاهري/ رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم لابن تيمية/ ص ٨٣ الطبعة الأولى

١٩٨٤م دار القبلة/ السعودية

(١٢) المصدر السابق ص ١٦

ومناقبياته نذكر هنا بعضاً منها:

١. من تواضعه وكرمه أنه اجتاز على مساكين يأكلون في (الصفة) فدعوه إلى الغذاء فنزل عن راحلته، وتغذى معهم، ثم قال لهم: قد أجبتمكم فأجيبوني، فلبوا بكلامه وخفوا معه إلى منزله، فقال لزوجته الرباب: اخرجي ما كنت تدخرين فأخرجت ما عندها من نقود فناولها لهم^(١٣).

٢. ومن جوده أنه عاد أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه فلما استقر به المجلس قال أسامة: واغماه فسأله الحسين ما غمك؟ قال: ديني وهو ستون ألفاً قال الحسين: هو علي فقال أسامة أخشى أن أموت قبل أن يقضى فطمنه الحسين قائلاً: لن تموت حتى أفضيها عنك، وبادر الإمام فقضاها عنه قبل موته^(١٤).

٣. وكان مثلاً لتقوى الله ومواظباً على أرقى درجات العبادة، وقال له بعض أصحابه يوماً: ما أعظم خوفك من ربك؟ فقال عليه السلام: لا يأمن من يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا^(١٥). وكان أكثر أوقاته مشغولاً بالصلاة والصوم وقال عنه ابن الزبير: (أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً في النهار صومه)^(١٦).

وقد حج خمسا وعشرين حجة ماشياً على قدميه، وكانت نجائبه تقاد بين يديه^(١٧).

وكان كثير البر والصدقة، وقد ورث أرضاً وأشياء فتصدق بها قبل أن

(١٣) القرشي/ حياة الإمام الحسين ج ١ ص ١٢٥ نقلاً عن تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٤.

(١٤) المصدر السابق ص ١٢٨.

(١٥) المصدر السابق ص ١٣٣.

(١٦) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٧٣ / الطبعة الأولى/ المطبعة الحسينية المصرية.

(١٧) القرشي/ حياة الإمام الحسين ج ١ ص ١٣٤.

يقبضها، وكان يحمل الطعام في غلس الليل إلى مساكن أهل المدينة^(١٨).

كلماته الثائرة:

من بدء نهضته المباركة إلى شهادته العظيمة، وجه للأمة بمختلف المناسبات كلمات وخطباً، تعتبر أهم رصيد وأعظم منبع يستلهم منه الثوار والأحرار، مواقفهم ويغذون بها إرادتهم في المقاومة والنضال، وتبين تلك الكلمات والخطب والرسائل منطلقات الإمام الحسين في ثورته والأهداف التي توخاها من حركته.

منها ما جاء في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من المدينة: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين)^(١٩).

وقال في خطبة له أمام طليعة الجيش الأموي بقيادة الحر بن يزيد الرياحي:

(أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال: «من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير)^(٢٠).

(١٨) المصدر السابق ص ١٣٥.

(١٩) القرشي / حياة الإمام الحسين ج ٢ ص ٢٦٤.

(٢٠) المصدر السابق ص ٨٠.

وقال مخاطبا اصحابه عند نزوله كربلاء:

(ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فاني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)^(٢١).

ومن خطبة له في الجيش الأموي قبل بدء المعركة:

(ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية، ونفوس أبيه، من أن يؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وخذلان الناصر....)^(٢٢).

(٢١) المصدر السابق ص ٩٨

(٢٢) المصدر السابق ص ١٩٣

سطور من كتاب الثورة

طبيعة الحكم الأموي :

في شهر جمادى الأول سنة ٤١ هـ وبعد صلح الإمام الحسن تم لمعاوية ما كان يريد ويَسعى إليه، فقد أصبح هو الخليفة والحاكم على الأمة الإسلامية جمعاء. ودخلت الأمة في نفق الحكم الأموي، حيث لم تعد مبادئ الإسلام وأنظمتها هي المرجع والقياس، وإنما إرادة الحاكم يعمل كيف يشاء وما يشاء، وحتى لاتزاحمه أي إرادة أخرى ولايجراً أحد على معارضته، فقد بدأ في تنفيذ مخطط لتصفية كل رجالات المسلمين الأحرار الشرفاء، وكان من ضحايا ذلك المخطط: الإمام الحسن بن علي حين دس إليه السم، وحجر بن عدي الصحابي الجليل، وعبد الرحمن بن حسان العنزي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ربيعة، وشريك بن شداد الحضرمي، وكدام بن حيان العنزي، ومحرز بن شهاب التميمي، والصحابي العالم رشيد الهجري، والصحابي العظيم عمرو بن الحمق الخزاعي، وأوفي بن حصين، وجويرية بن مسهر العبدي، وعبد الله بن يحيى الحضرمي^(٢٣)،

(٢٣) باقر شريف القرشي - حياة الإمام الحسن - (ج ٢ ص ٣٥٨-٣٨٥) راجع تراجم المذكورين وكيفية قتلهم.

وغيرهم من شخصيات الأمة وأفاضلها المخلصين....
 كما عمل الحكم الأموي على تعبئة أجواء الرأي العام ضد - أهل البيت عليهم السلام
 وسن سب الإمام علي بن أبي طالب على المنابر وفي خطب الجمعة، وفرض ذلك
 على جميع عماله وولاته ومن أبى منهم عزله، وبقي ذلك سنة إلى عهد عمر بن
 عبدالعزيز حيث أمر بإلغائه حين تولى الخلافة سنة ٩٩هـ أي أن سب الإمام علي
 استمر أكثر من نصف قرن من سنة ٤١هـ إلى سنة ٩٩هـ.

وزدادت الضغوط القمعية على أهل البيت وشيعتهم من قبل الحكم
 الأموي، فقد رفع معاوية مذكرة إلى جميع عماله وولاته جاء فيها: (انظروا إلى
 من قامت عليه البينة أنه يجب علياً وأهل بيته فاحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه
 ورزقه) ثم شفع ذلك بنسخة أخرى جاء فيها: (ومن اهتمموه بموالاة هؤلاء
 القوم فنكلوا به واهدموا داره) وتحدث الإمام الباقر عما جرى على أهل البيت
 وشيعتهم من الاضطهاد والأذى في زمن معاوية فقال: (وقتل شيعتنا بكل بلدة
 وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، كان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن
 أو نهب ماله أو هدمت داره)^(٢٤).

إضافة إلى إظهار الفساد والمخالفة للدين، كتعطيل الحدود، وممارسة الخلاعة
 والمجون، واستلحاق معاوية لزياد بن أبيه، والجرأة الصريحة على مخالفة الأحكام
 الشرعية - من قبل معاوية- حتى في العبادات كالأذان في صلاة العيد، والخطبة
 قبل صلاة العيد وأخذ الزكاة من الأعطية، والتطيب في الإحرام، واستعمال أواني
 الذهب والفضة، ولبس الحرير....

وقد ساءت أوضاع الناس الاقتصادية لأن معاوية كان يستأثر هو ومن حوله
 بأموال المسلمين ويضعون عليهم مختلف الضرائب، وكان معاوية يرى لنفسه
 الحق في التصرف كما يشاء في ثروات الأمة بينما يتضور الفقراء والمستضعفون

جوعاً وحرماناً. وينقل عنه قوله: (الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت من مال الله فهو لي وما تركته كان جائز إلي) (٢٥).

وذكر ابن حجر أنه جاء بسند رجاله ثقات: أن معاوية خطب يوم الجمعة فقال: إنما المال والفيء فيئنا فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه) (٢٦).

وفي ربيع الأبرار قال: خطب معاوية فقال: إن الله تعالى يقول: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٧)، فعلام تلومني إذا قصرت في عطائكم (٢٨).

كما سلط معاوية على الأمة ولاة جفاة قساة نشروا الرعب والبطش، وحكموا الناس بالإرهاب والقمع مثل سمرة بن جندب الذي استعمله زياد على البصرة نائباً عنه فأسرف في قتل الأبرياء وإزهاق الأنفس بغير حق فقد حدث محمد بن سليم قال: سألت بن سرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ فاندفع أنس بحرارة والتأثر بادياً عليه قائلاً: وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب؟ استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس، فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً؟ فأجابه سمرة: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت (٢٩).

ومن ولاة معاوية الظالمين: بسر بن أرطاة والذي وجهه إلى اليمن ففعل فيها الأفاعيل المنكرة التي لم يشهد التاريخ نظيراً لها في فظاعتها وقسوتها، وذكر الرواة أن بسر بن أرطاة قتل ثلاثين ألفاً من المسلمين عدا من أحرقتهم بالنار (٣٠).

(٢٥) محمد بن عقيل - النصائح الكافية لمن يتولى معاوية - (ص ١٣١ - ١٣٤) - ط - ١٩٨١م - دار الزهراء: بيروت.

(٢٦) المصدر السابق.

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) المصدر السابق.

(٢٩) باقر شريف القرشي - مصدر سابق - ص ١٩٤.

(٣٠) المصدر السابق ص ١٩٩

ومن أخطر ولاية معاوية وأكثرهم جوراً وظلماً زياد بن أبيه وقد ولاه معاوية البصرة والكوفة وسجستان وفارس والهند..

هكذا عاشت الأمة الإسلامية في ظل الحكم الأموي، وبمراجعة بسيطة لكتب التاريخ يرى الإنسان صور الظلم الفظيعة البشعة التي سجلها الأمويون في تاريخ حكمهم الأسود.

يزيد بن معاوية حاكماً:

واستكملاً لمشروع الردة إلى الجاهلية ختم معاوية ابن أبي سفيان حياته باستخلاف ولده يزيد على الأمة، ليبدأ بذلك عهد الملك العضوض والحكم الوراثي العائلي، خلافاً لما أقره الإسلام وتعود عليه المسلمون.

ولم تكن لدى يزيد أدنى مؤهلات الحكم والخلافة، فقد كان كلفاً بالصيد لاهياً به وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والحلال المنسوجة منهن ويهب لكل كلب عبداً يخدمه كما كان ولعاً بالقروود وله قرد يجعله بين يديه ويكنيه بأبي قيس، ويسقيه فضل كأسه^(٣١) كما كان مدمناً على شرب الخمر^(٣٢).

يقول الحسن البصري ضمن تعداده لموبات معاوية: (واستخلاف ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير، ويضرب الطناير)^(٣٣).

وقد اعترض كبار الصحابة على معاوية حينما أراد مبايعة ولده يزيد بولاية العهد وعقد مجلساً في المدينة المنورة ضم نخبة من أفاضل الصحابة ليخبرهم برغبته في تعيين ولده يزيد ولياً لعهد، فانبرى له عبد الله بن جعفر بن أبي طالب زوج السيدة زينب قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه: «أما بعد فإن الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن فأولوا الأرحام بعضهم أولى بعض في كتاب الله، وإن أخذ فيها بسنة

(٣١) المصدر السابق ص ١٨٢

(٣٢) المصدر السابق ص ١٨٣

(٣٣) المصدر السابق.

رسول الله فأولوا رسول الله، وإن أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأبي الناس أفضل وأكمل بهذا الأمر من آل الرسول؟ وأيم الله لو ولوه بعد نبينهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقته، ولأطيع الرحمن، وعصي الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان، فاتق الله يامعاوية فإنك قد صرت راعياً ونحن رعية فانظر لرعتك فإنك مسؤول عنها غداً.....»^(٣٤).

واندفع عبد الله بن عمر فقال حمد الله والصلاة على نبيه:

أما بعد: فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية، ولا كسراوية يتوارثها الأبناء عن الأباء ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي، فوالله ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى، إلا على أن الخلافة ليست شرطاً مشروطاً وإنما هي في قريش خاصة لمن كان لها أهلاً ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم ممن كان أتقى وأرضى...»^(٣٥).

وبنفس المضمون تكلم عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير إلا أن معارضة هؤلاء الصحابة وغيرهم من أعيان الأمة لم تؤثر في عزم معاوية على فرض ولده حاكماً، من بعده بل شهر سلاح التهديد أمام المعارضين وقال ناطق باسم معاوية في حضوره هو زيد بن المقفع: أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد، ومن أبي فهذا وأشار إلى سيفه^(٣٦).

ومات معاوية في شهر رجب سنة ٦٠ من الهجرة، وأصبح ولده يزيد خليفة وحاكماً على المسلمين.

(٣٤) المصدر السابق ص ٢٠٥

(٣٥) المصدر السابق ص ٢٠٧

(٣٦) المصدر السابق ص ٢٠٣

الحسين يرفض البيعة:

وكتب يزيد إلى الوالي الأموي على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يطلب إليه أخذ البيعة قسراً من كبار الصحابة وفي مقدمتهم الإمام الحسين. وفي منتصف الليل استدعى الإمام الحسين إلى مجلس الوليد وطلب منه البيعة إلى يزيد فأجاب الإمام: إن مثلي لا يبايع سراً، ولا يجترى بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس دعوتهم للبيعة، دعوتنا معهم كان الأمر واحداً. وقبل الوليد كلام الإمام الحسين لكن مروان بن الحكم والذي كان جالساً إلى جانب الوليد رفض ما قاله الإمام وطالب الوليد بإجبار الحسين على البيعة فوراً!!!

ورداً على هذا التهديد أعلن الإمام الحسين موقفه الرفض لبيعة يزيد قائلاً: أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلى بالفسق ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة^(٣٧).

الحسين يغادر المدينة:

وغادر الإمام الحسين المدينة المنورة، في ٢٨ رجب ٦٠ هـ متجهاً إلى مكة المكرمة بعد أن عهد إلى أخيه محمد بن الحنفية بوصية أبان فيها هدف خروجه وتحركه حيث جاء فيها: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق،

(٣٧) المصدر السابق ص ٢٥٥

فالله أولى بالحق ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين» (٣٨).

ووصل مكة المكرمة في الثالث من شهر شعبان وبدأ يعلن موقفه هناك ويوضح رأيه في الحكم الأموي لجموع المسلمين الذين يؤمنون البيت الحرام حجاجا ومعتمرين.

كما بعث الإمام برسائله إلى زعماء العراق في الكوفة والبصرة يخبرهم بموقفه الرافض لحكم يزيد ويستحثهم على تأييده ونصرته..

استجابة الكوفة:

أجواء الكوفة كانت مهيأة للثورة على الحكم الأموي، لذلك تفاعل الكوفيون مع موقف الإمام الحسين، وبعثوا له الوفود وكتبوا له آلاف الرسائل يعلنون بيعتهم له واستعدادهم لنصرته.

ويقول المؤرخون: إنه اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب، ووردت إليه قائمة فيها مائة وأربعون ألف اسم يعربون عن نصرتهم له حال ما يصل الكوفة، كما وردت عليه في يوم واحد ستمائة كتاب (٣٩). فبعث إليهم الإمام الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل، ليرى حقيقة الأوضاع في الكوفة، وليأخذ منهم البيعة للإمام، وليهيء الأمور لمقدم الإمام.

وغادر مسلم مكة ليلة النصف من شهر رمضان ليصل الكوفة في الخامس من شهر شوال حيث استقبله أهلها بالبهجة والترحيب، وبادرت جماهيرها لمبايعته كممثل وسفير للإمام الحسين، فكتب للإمام يبشره باستجابة الناس لبيعته ويستحثه على الإسراع في القدوم للكوفة.

(٣٨) المصدر السابق ص ٢٦٤

(٣٩) المصدر السابق ص ٣٣٥

إلا أن الحكم الأموي والذي أرعبه تمرد الكوفة على سلطته بادر إلى عزل والي الكوفة (النعمان بن بشير) لضعفه في مواجهة التمرد، وعين يزيد بن معاوية بدلاً منه عبيد الله بن زياد وهو معروف بقسوته وغلظته.

وبعد أن استلم ابن زياد ولاية الكوفة خطط بمكر ودهاء، واستخدم أشد أساليب القمع والإرهاب للقضاء على التمرد الموالي للإمام الحسين، وكانت النتيجة إلقاء القبض على سفير الحسين مسلم بن عقيل وإعدامه في الثامن من ذي الحجة الحرام مع زعماء آخرين، واعتقال مجموعة كبيرة من شخصيات الكوفة وزعمائها، وإعلان حالة الطوارئ القصوى.

إلى العراق:

كتب مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين يخبره عن استجابة أهل الكوفة لطاعته وتشوقهم لقدمه- قبل التطورات اللاحقة- فعزم الإمام الحسين على مغادرة مكة باتجاه العراق، لأنه لا يريد أن تكون مكة ساحة لتفجير الثورة والصدام مع الحكم الأموي، حفاظاً على قداسة الحرم وأمنه، ولأن جمهور العراق أكثر تهيأ للثورة حسب رسائلهم وتجاوبهم مع سفير الحسين إليهم.

وقد استفاد الإمام من فترة وجوده في مكة المكرمة للاتصال بجموع المسلمين القادمين إليها للحج والعمرة.

وغادر مكة في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة سنة ٦٠هـ وكان توقيت المغادرة مثيراً لجموع الحجيج والمسلمين حيث كانوا يتأهبون لأداء مناسك الحج فلماذا يجرمون من الحج مع الإمام؟

وقد رافق الإمام في سفره عدد كبير من أهل بيته رجالاً ونساءً وجماعة من أنصاره وأتباعه، وفي إحدى مراحل الطريق وصلت إلى الإمام الحسين أنباء التطورات الخطيرة في الكوفة وسيطرة الأمويين عليها ومقتل سفيره مسلم بن

عقيل ورغم تألمه لما حدث إلا أنه صمم على الاستمرار في حركته ومسيرته. وحينما علمت السلطة الأموية باتجاه الحسين إلى العراق، بعثت بعض الفرق والمفازز العسكرية لتمنع الإمام الحسين من دخول الكوفة. وبعدها تجاوزت قافلة الحسين موقعا يقال له (شراف) واجهتهم فرقة عسكرية من الجيش الأموي تضم زهاء ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، وكان جنود الفرقة يعانون من الظم الشديد في حر الصحراء اللاهب، فأنقذهم الإمام من الموت المحتم وبذل لهم ما يحتاجون من الماء، ثم بدأ يحاورهم موضحا لهم أسباب قدمه إلى العراق، لكنهم أصروا على أن يستسلم لهم ليقدموا به على ابن زياد والي الأمويين على الكوفة، كما لم يسمحوا له بالرجوع من حيث أتىو حصل الاتفاق أن تسير قافلة الإمام الحسين في طريق لا يدخله الكوفة كما يريدون هم ولا يرجعه إلى الحجاز كما يريد الإمام.

في كربلاء:

ووصلت إلى قائد الفرقة الأموية رسالة من عبيد الله بن زياد تأمره بإبقاء الإمام الحسين في فيافي الصحراء، وعدم إجباره على الدخول إلى الكوفة خلافاً لقراره السابق، ولعله فكر في أن دخول الحسين إلى الكوفة قد يؤدي إلى تطورات غير محسوبة، فمواجهته في الصحراء وبعيداً عن الجمهور أفضل. وعلى إثر هذا الأمر الجديد أرادت الفرقة العسكرية أن تعرقل مسيرة الإمام وتمنعه بينما كان الإمام يريد مواصلة السير، ومع المشادة وتوتر الأجواء وصلوا إلى منطقة على شاطبي الفرات، وسأل الإمام عن تلك المنطقة فأجيب أنها كربلاء فأمر بالنزول فيها، فهي الأرض التي اختارها الله لتكون مسرح ثورته وميدان شهادته وموضع قبره، وكان وصول الإمام الحسين إلى كربلاء في اليوم الثاني من محرم سنة ٦١هـ.

عاشوراء:

زحفت القوات الأموية لتحاصر الحسين وأصحابه في كربلاء واختلف المؤرخون في عدد أفراد القوات الزاحفة نحو كربلاء ولعل الأقرب والأصح هو ثلاثون ألف مقاتل^(٤٠).

بينما كان عدد أفراد معسكر الحسين لا يزيد على ثمانين رجلاً..
بينما فرضت السلطات الحصار على الكوفة وحالة الطوارئ في داخلها حتى لا يتسلل منها أحد للالتحاق بالإمام الحسين.

وكنت قيادة الجيش الأموي بعهدة عمر بن سعد.
وتحدث الإمام الحسين للجيش الأموي الزاحف لقتاله مراراً، ليعرفهم بنفسه وليشرح لهم مبررات وأهداف موقفه المعارض للسلطة الأموية، وليوضح لهم سوء الواقع المعاش في ظل الأمويين، ومسؤولية الثورة والرفض لظلمهم وطغيانهم.

لكم خطابات الإمام لم تؤثر إلا في عدد قليل محدود من أفراد الجيش كالحرب بن يزيد الرياحي قائد الفرقة العسكرية التي واجهت الإمام في الطريق فقد تأثر بموقف الإمام وخطاباته وتمرد على معسكره والتحق بمعسكر الإمام الحسين.
وتشديداً للحصار على الإمام الحسين وأصحابه فقد احتل الجيش الأموي شاطئ الفرات ومنعوا الحسين وأصحابه وعياله من الوصول إلى الماء، منذ اليوم السابع من محرم.

وفي صبيحة اليوم العاشر من المحرم بدأ الجيش الأموي هجومه على معسكر الإمام الحسين فتبادر أصحاب الإمام، ورجالات أسرته الهاشمية للدفاع عن وجود الإمام وعياله وعن أنفسهم، وسطروا من خلال معركة دفاعهم المقدس

(٤٠) المصدر السابق ص ١٢٢.

ملحمة خالدة من البطولة والفداء لم يعرف التاريخ لها نظيراً، وبعد ظهر اليوم العاشر من المحرم، كان جميع الأصحاب والأنصار قد عانقوا الشهادة وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، بينما بقي الإمام الحسين يواجه القوم بمفرده وخلفه نساؤه وعياله، قد أفضهم العطش والظمأ، وآلمهم الحزن والمصاب، وأصبحوا ينتظرون مستقبلاً مأساوياً بعد فقد رجالاتهم وحماتهم.

وتصدى الإمام لمواجهة القوم وقتلهم، غير أنه بكثرة جموعهم، ولا نالت المصائب والآلام من عزيمته وشجاعته، حتى أذن الله له بلقائه فوق صريعاً شهيداً على بوغاء كربلاء، مضمخاً بدمائه الشريفة، شاهداً على انحراف الأمة عن رسالة جده، راسماً لأجيال البشرية طريق الثورة والنضال دفاعاً عن المبدأ والكرامة.

ولم يكتف الجيش الأموي الظالم بقتل الإمام وأصحابه جميعاً بل قتلوا حتى الأطفال الرضع كعبدالله ابن الإمام الحسين وهو دون العام من عمره حيث ذبحوه على صدر أبيه الحسين ولم يسلم من رجالات معسكر الحسين إلا ولده علي بن الحسين زين العابدين لأنه كان عليلاً مريضاً.

وأجهزوا على الجثث الطاهرة للإمام الحسين وأصحابه يحتزون رؤوسهم ثم وطأوا جسد الإمام بخيولهم، وأغاروا على خيم نساء الحسين وأطفاله، وأحرقوها بالنار وسلبوا ما فيها من متاع وما على النساء والأطفال من حلي وحلل....

لقد ارتكب الجيش الأموي الباغي في كربلاء جرائم فظيعة لا يصح ارتكابها حتى مع الأعداء الكافرين، فضلاً عن عتره رسول الله ﷺ.

لذلك أصبحت كربلاء تمثل أفضع مأساة في تاريخ البشر، وفي ذات الوقت فهي أروع ملحمة في سجل البطولة والفداء والصمود...

قافلة السبايا:

وفي اليوم الحادي عشر من المحرم قام الجيش الأموي بموارة جثث قتلاهم بينما تركوا الأجساد الطاهرة للإمام الحسين وأصحابه، على صعيد كربلاء تسفي عليهم الرياح دون موارة.

وساروا بنساء الحسين وأطفاله سبايا كأسارى إلى الكوفة تقدمهم رؤوس الحسين وأصحابه معلقة على رؤوس الرماح.

وكان عدد السبايا عشرين امرأة عدا الصبية، وقد سيروهن على الجمال بغير وطء وساقوهن بكل عنف وشدة.

وأدخلوا السبايا إلى الكوفة في اليوم الثاني عشر وسط مظاهر الفرح والبهجة بانتصار الظالمين على أهل البيت.

وبعد أن بقيت السبايا أياماً في الكوفة يعانين الإذلال والآلام سيروهن إلى الشام مع رؤوس الشهداء فكانت رحلة مضمّنة مرهقة لتلك النساء المفجوعات والسبايا اليتيمات، ولقين في الشام ضروب الشاتة والإهانة، خاصة في مجلس الطاغية يزيد بن معاوية.

ومع أن دمشق كانت عاصمة الأمويين، وأجواؤها كانت معبأة ضد أهل البيت عليهم السلام، إلا أن مأساة السبايا وأخبار كربلاء، وحكايات الإمام زين العابدين والسيدة زينب وأم كلثوم كل ذلك ترك أثراً في جمهور الشام وخلق تياراً من الإنكار والرفض لسياسات يزيد بن معاوية وخوفاً من تنامي ذلك التيار أمر يزيد بإعادة السبايا إلى المدينة المنورة حسب طلبهم.

وهكذا عادت قافلة السبايا إلى المدينة تشكو إلى رسول الله ما أصابهم من ظلم وضميم واضطهاد لا شبيه له في التاريخ^(٤١).

(٤١) حسن الصفار/ المرأة العظيمة قراءة في حياة السيدة زينب.

التضحية والفداء

أرخبى الليل سدوله، وسيطر هدوؤه على الحياة، ولف ظلامه جميع الأرجاء.. وفي غمرة ظلام الليل وعميق هدوئه أقبل الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله ليؤدي أوراده ونوافله الليلية، وليختلي بنفسه مفكراً في الأحداث الاجتماعية التي طرأت على الأمة.

فمعاوية بن أبي سفيان قد هلك بعد عشرين سنة من الحكم عانت الأمة فيها ما عانت.. وها هو ابنه يزيد بن معاوية يقفز على عرش الخلافة ليفتح المجال أمام الحكم الوراثي، والإمامة القبلية.

ويزيد هذا يبدأ حكمه بعجرفة ديكتاتورية فيكتب إلى والي المدينة المنورة: أن خذ البيعة من أهل المدينة عامة ومن الحسين بن علي خاصة، ومن أبي فاضرب عنقه وأبعث إلى برأسه!!

وتلك جماهير الأمة تعيش حالة من الدهشة والذهول لا تدري ماذا تصنع وكيف تتصرف؟

جلس الحسين يفكر في هذه الأحداث ويتأمل هذه الاوضاع المؤلمة، فليست القضية سهلة بسيطة بل الأمر صعب وخطير حيث يهدد مصير الأمة ومستقبل الرسالة.

وبعد فترة من التفكير العميق والتأمل الجاد انتصب الحسين قائماً واستقبل القبلة وشرع في الصلاة ليستلهم من الله الحكمة والسداد والقوة والصمود وهذا هو التعامل الصحيح مع الصلاة، فالصلاة ليست لتقضية الفراغ ولا هي عبادة الكسالى، فقد ندد الله بفئة من المصلين حيث يؤدون الصلاة بنفسية كسولة لا ميالية وغير واعية ﴿ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٤٢) بل الصلاة صلة بين العبد وربّه ليستلهم من الله الحكمة في أعماله والتسديد في مواقفه، وليعاهد العبد ربه على الاخلاص والاستقامة من خلال الصلاة.

واتم الحسين صلاته واوراده، ثم اتجه بالدعاء إلى الله خاضعاً خاشعاً يقول:
(اللهم إن هذا قبر نبيك محمد ﷺ وأنا ابن بنت نبيك . وقد حضرني من الأمر ما قد علمت . اللهم إني أحب المعروف وأنكر المنكر . وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه الا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى)^(٤٣).

ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فاغمض فرأى رسول الله ﷺ في المنام يضمه إلى صدره ويقبل ما بين عينيه ويقول: حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك . مذبوحاً بأرض كرب وبلاء . في عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لاتسقى . وضمان لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي لا أناهم الله شفاعتي يوم القيامة .
(حبيبي يا حسين إن اباك وامك واخاك قدموا عي وهم مشتاقون إليك .
وأن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة)^(٤٤).

(٤٢) سورة النساء آية ١٤٢

(٤٣) المقرم مقتل الحسين ص ١٣٣

(٤٤) القرشي / حياة الإمام الحسين ج ٢ ص ٢٦٠

إن هذا الحديث يكشف لنا سراً عميقاً طالما بحث عنه الكثيرون ممن أدهشتهم شخصية الحسين الخالدة.

فرغم توالي السنوات ومرور القرون وتعاقب الأجيال إلا أن شخصية الحسين تتجلى في كل يوم وكأنها شخصية العصر وقضيته تفرض نفسها وكأنها حديث الساعة.

لماذا كل هذا الاهتمام بالحسين؟

فمواكب الزائرين تتردد على قبره وتتشف بالطواف حول ضريحه وأجيال الشعراء والخطباء لا زالوا يعترضون قرائحهم في التحدث عن ثورته العظيمة.. وجماهير الأمة تحتفي بذكرى نهضته فتجعلها موسماً دينياً تتلقى فيه دروس الوعي وتنشد مبادئ الدين.

مرة أخرى لماذا كل هذا الاهتمام بشخصية الإمام الحسين؟
هل لميزة جسمية؟ أم لموقع نسبي؟
كلا!..

فلم استأثر الحسين بكل هذا الاهتمام؟

إن الحديث السابق يعطينا إجابة صريحة على هذا السؤال العريض الذي يفرض نفسه علينا. فالرسول الأعظم ﷺ يقول له بصراحة:

(حبيبي يا حسين إن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة).

واستشهد الإمام الحسين فنال تلك الدرجات، وعظمته في الدنيا إحدى تلك الدرجات إذاً فسر عظمة الحسين شهادته وتضحيته، فدعنا الآن نركز حديثنا في هذه السطور على هذا الجانب من حياة الحسين والذي هو سر عظمته ومكانته:

جانب التضحية والعطاء في سبيل الله:

إن التضحية في سبيل الله شيء جميل وعظيم لا يدانيها أي عمل أو نشاط.

وتقدير الله تعالى للتضحية والمضحين لا يوازيه أي تقدير.

فهذا القرآن الحكيم يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٤٥).

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٤٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْرِكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤٧).

وقال رسول الله ﷺ: (فوق كل ذي بر بر حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل

في سبيل الله فليس فوقه بر) (٤٨).

ولكن هل يتوقف كل إنسان للتضحية في سبيل الله؟
كلا!..

فكم من شخص يتمنى التضحية ويتصدق بالرغبة فيها ثم إذا حان وقتها لم يتوقف لذلك.. هل سمعتم قصة ذلك الرجل الذي كان يكرر في كل آن يذكر فيه اسم الحسين (ياليتنا كنا معكم فنفوز والله فوزاً عظيماً).

وفي احدى الليالي رأى في المنام وكأنه حاضر في ساحة كربلاء، وفي عاشوراء

(٤٥) سورة التوبة/ آية ١١٠-١١١

(٤٦) سورة النساء الآيات ٩٤-٩٦

(٤٧) سورة الصف/ آية ١٠-١١

(٤٨) الحر العاملي/ وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٠

وطلب منه الحسين أن يتقدم إلى المعركة بناء على رغبته في الشهادة وتشوقه للتضحية كما كان يكرر بلسانه.. ولكنه ظل يتعذر ويحاول التخلص من الموقف الحرج لأن نفسيته لم تكن مهياة للنضال والتضحية..

وأخيراً لم ينقذه إلا نداء من العقيلة زينب عليها السلام لأخيها الحسين عليه السلام وما أن أدار الحسين وجهه صوب اخته العقيلة زينب إلا ولاذ بالفرار..

وانتبه من نومه فرعاً باكياً منزعجاً فسألته زوجته فحكى لها القصة.. قالت له: ولماذا الإنزعاج من شيء كنت تتمناه؟

فأجاب احمدي الله واذكري زينباً بألف خير فلولاها لوقعنا في ستين داهية!!

والقرآن الكريم يحدثنا عن نماذج من هذا النوع كانوا يتمنون الشهادة والتضحية ولكنهم لم يهينوا أنفسهم لها فكانت عاقبتهم الفرار والإنهزام وفي ذلك عار الدنيا وعذاب الآخرة.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظَلْمُونَ فَتِيلًا ﴿٥٠﴾.

والآن: كيف يهين الإنسان المؤمن نفسه للتضحية في سبيل الله حتى لا تخونه

(٤٩) سورة البقرة/ آية ٢٤٦

(٥٠) سورة النساء/ آية ٧٧

إرادته وقت الحاجة؟

على ضوء حياة الإمام الحسين عليه السلام واقتباساً من أشعة تضحيته العظيمة يمكننا تحديد عوامل تهيئة النفس وتربيتها على التضحية والفداء بالعوامل التالية:-

١. مقاومة الشهوات النفسية والاعراض المادية دائماً وباستمرار... لأن التضحية تحتاج إلى قرار أكيد من داخل نفس الإنسان، وشهوات الإنسان ورغباته تشده إلى الراحة واللذات والشهوات.. وفي ساعة التضحية تشب المعركة حادة قوية بين دواعي الشهوة والراحة وبين رغبة التضحية، فإذا لم يكن الإنسان متديباً على مقاومة شهوات الراحة ورغبات النفس فسوف لن يستطيع في تلك اللحظة التغلب عليها، وتعبيراً عن هذه الحقيقة يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (ميدانكم الأول أنفسكم إن قدرتم عليها كنتم على غيرها أقدر، وإن عجزتم عنها كنتم على غيرها أعجز). ويعتبر رسول الله صلى الله عليه وآله جهاد النفس عملية أخطر من جهاد العدو لأنها الطريق إلى ذلك.

يقول الإمام علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سرية (فرقة صغيرة من الجيش) فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل يارسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس أفضل الجهاد، من جاهد النبي بين جنبيه^(٥١).

ومن هذا المنطلق فإن الإسلام يركز أولاً على هذا الجانب ويرى أن مكافحة سلبيات النفس وكس الروى المتخلفة من داخل الإنسان وزرع مفاهيم الجهاد والنضال في روح الفرد.. هذا العمل هو الجهاد الأكبر وهو الذي يجعل الإنسان

على أتم الاستعداد للجهاد والتضحية والفداء في كل لحظة وحينما تدعو حاجة إلى ذلك.

ومن هذا المنطلق أيضاً حارب الإمام الحسين الاغراءات التي عرضت عليه من قبل الأمويين لكي يتخلى عن طريق الجهاد والتضحية..

فقد ساوموه - إن تخلى عن موقفه الجهادي في سبيل الدين - ساوموه بالأموال والمناصب وزينوا له الاستسلام لهم والمهادنة للطغاة والظالمين، فأبى ورفض الاستسلام للاغراءات المادية، فقد قالوا له يوم عاشوراء:

(يا حسين أنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه) فقال : لا والله لا اعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد(٥٢).

٢. تغذية النفس بالثقافة الدينية الواعية: التي تحفز الإنسان على البذل والعطاء وتشوقه للتضحية والفداء في سبيل الله كآيات القرآنية الكريمة التي تضع الإنسان أمام مسؤوليته الاجتماعية وتدفعه إلى تحمل تلك المسؤولية مهما كلفته من ثمن كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (٥٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنِ اقْلُتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥٤).

﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم

(٥٢)المقرم/ مقتل الحسين ص ٢٢٩

(٥٣)سورة النساء / آية ١٠٤

(٥٤)سورة التوبة الآيات ٣٨-٣٩

خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ .

إن قراءة القرآن والتأمل في آياته تعطي الإنسان روح الاخلاص والاندفاع للجهاد والتضحية فعلى الإنسان أن يكثّر من قراءة القرآن ويتزود من آياته الكريمة نوراً وبصيرةً في الحياة ويستلهم منها روح الإيمان والجهاد.

مثل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرحين بما آتاهم الله من فضله وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ* الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سَوْءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿٥٦﴾ .

ولقد وعى الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام هذه الآيات الكريمة واستوعب بحسه الإيماني هذه الأوامر الإلهية بالجهاد والتضحية فلبى النداء ونفذ أوامر الله في تلك الظروف العصيبة التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية، وكانت تتطلب ممن سمع هذه الآيات وصحب الرسول واستمع إلى كلماته أن يستجيب لنداء الحق ويقف هذا الموقف العظيم، موقف الجهاد والتضحية في سبيل الرسالة.

كما وعى الإمام الحسين جيداً كلمات أبيه الإمام علي التي تدعو المسلمين إلى الجهاد والتضحية في سبيل نشر العدل في المجتمع وتطبيق الإسلام في الحياة مثل خطبته الواردة في نهج البلاغة ومنها:

(٥٥) سورة التوبة الآية ٤١

(٥٦) سورة آل عمران الآيات ١٦٨-١٧٤

(إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته (وقايته) الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة (الذل) وضرب على قلبه بالاسهاب، واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم (ذيق) الحسف (الظلم) ومنع النصف (العدل) (٥٧).

واستمع الإمام الحسين إلى وصية والده الإمام علي عليه السلام وبقيت تدوي في مسامعه تلك الكلمات واستوعب تلك المعاني التي اوصى بها الإمام اليه وإلى اخيه الحسن في اللحظات الأخيرة من حياته على فراش الموت.
(أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا، وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحق واعملا للأجر- للآخرة- وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم .

الله في القرآن لا يسبقكم إلى العمل به غيركم.

الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله.

ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولى عليكم شراركم ثم

تدعون فلا يستجاب لكم) (٥٨).

وأصبحت هذه الوصية هي البرنامج الاجتماعي والجهادي للإمام الحسين عليه السلام، واعطته شحنات نفسية قوية من حب التضحية والعطاء في سبيل الله.

وللأدعية دور مهم في توجيه النفس نحو التضحية والفداء في سبيل الله.

(٥٧) نهج البلاغة / خطبة رقم ٢٧

(٥٨) نهج البلاغة كتاب رقم ٤٧

٣٤..... الإمام الحسين رمز التضحية والفداء

(وتجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري)^(٥٩).

(وقتلا في سبيلك فوفق لنا.....)^(٦٠)

ونجد الإمام الحسين أنه كان يدعو بهذا الدعاء وهو يتضرع إلى الله على قبر

جده رسول الله ﷺ :

اللهم إن هذا قبر نبيك محمد ﷺ وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم إني أحب المعروف وأبكر المنكر، وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه الا اخترت لي ماهو لك رضى ولرسولك رضى^(٦١).

٣. ممارسة العطاء والتضحية: بالمقدار الممكن وحسب الامكانيات المتوفرة للفرد كمساعدة الفقراء والضعفاء والمشاركة في النشاطات الدينية والمشاريع الخيرية.

والا فإن الإنسان الذي يبخل بشيء من ماله وجاهه أو وقته عن أن يبذله في سبيل الله.... هذا الإنسان لا يمكن أن تتغير نفسيته في لحظة واحدة فيتحول إلى معطاء مضحي يجود بنفسه ويبذل مهجته..

ويحدثنا القرآن عن قوم اعتذروا عن البذل البسيط في سبيل الله من أموالهم مرجئين ذلك إلى وقت الغناء والثروة.. ولكنهم حينما جاءتهم الثروة لم تسمح نفسياتهم بالبذل والعطاء وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(٦٢)

(٥٩) الشيخ عباس القمي / مفاتيح الجنان / اعمال كل ليلة من شهر رمضان

(٦٠) المصدر السابق

(٦١) المقدم / مقتل الحسين ص ١٣٣

(٦٢) سورة التوبة الآيات ٧٥-٧٧

والإمام الحسين عليه السلام نجد أن التضحية والبذل جزء لا يتجزأ من حياته وسلوكه اليومي.

جاء في كرم الحسين وبذله للمال وانفاقه على الفقراء والمحتاجين:
أن سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ
يقول:

لم ينجب الآن ومن رجاك ومن حرك من خلف بابك الحلقة
انت جواد وانت معتمد ابوك قد كان قاتل الفسقة

وكان الحسين يصلي فخفف صلاته وخرج إلى الإعرابي فرأى عليه أثر الضر والفاقة، فرجع ونادى وكيله فأقبل إليه مسرعاً فقال له: ما بقي معك من نفقتنا؟ قال مائتا درهم أمرتني بصرفها على أهل بيتك. فقال هاتها: فقد أتى من هو أحق بها منهم، فأخذها ودفعها إلى الإعرابي وأنشد يقول:

خذها وإني اليك معتذر وأعلم بأني عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا عصا تمد اذن كانت سمانا عليك مندفقة
لكن ريب المنون ذو نكد والكف منا قليلة النفقة^(٦٣)

وروى ابن عساكر في تاريخه- أنه كان يحمل إليه المال من البصرة وغيرها فلا يقوم من مكانه حتى يفرقه على الفقراء بكامله.

فلنقتدي بالإمام الحسين ولنمارس البذل والعطاء بما نملك من مال وجاه وقدرة حتى تكون أنفسنا مهياة للتضحية في سبيل الله.

ولتكن مناسبة عاشوراء خير فرصة لمراجعة أنفسنا وتربيتها بالعوامل الثلاثة المذكورة:

١. مقاومة الشهوات النفسية وإغراءات الحياة.

٢. تغذية النفس بالثقافة الإسلامية والتزود بتعاليم الإيمان والإخلاص

٣٦..... ■ الإمام الحسين رمز التضحية والفداء

والجهاد من آيات القرآن وأحاديث السنة المطهرة والأدعية الماثورة.

٣. الممارسة الفعلية الممكنة للعطاء.

وسلام من الله عليك يارمز التضحية والفداء.. يا أبا عبد الله الحسين ورحمة

الله وبركاته.

المحتويات

٥ المقدمة
٧ ومضات من حياة الإمام
٧ ولادته
٧ تسميته
٧ عائلته:
٨ في القرآن الكريم
٩ ریحانة الرسول
٩ من مكارم أخلاقه
١١ كلماته الثائرة
١٢ سطور من كتاب الثورة
١٣ طبيعة الحكم الأموي
١٦ يزيد بن معاوية حاكماً

١٨. الحسين يرفض البيعة
١٨. الحسين يغادر المدينة
١٩. استجابة الكوفة
٢٠. إلى العراق
٢١. في كربلاء
٢٢. عاشوراء:
٢٤. قافلة السبأيا
٢٥. التضحية والفداء